محاضرة حول وضع المرأة في الإسلام

رحَّب الأستاذ نبيل بالدكتور حسن مرعي المفكِّر الإسلامي قائلاً : الدكتور حسن مرعي فوق أنه مفكَر إسلامي كبير فإنه صديق عزيز ، وبناء على كثرة الشبهات التي تثار عن المرأة فقد طلبت منه أن يكون موضوع هذه المحاضرة هو الرد عن بعض هذه الشبهات .. فليتفضَّل :

– إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه، وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسـوله.

أما بعد:

دائماً ما يستشهد الذين لا يتكلَّمون بخير في موضوع المرأة بالحديث الذي رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : " خرَج رسولُ اللهِ ﷺ في أضحى ، أو فِطرٍ، إلى المصلَّى ، فمرَّ على النساءِ ، فقال: يا معشرَ النِّساءِ تصَدَّقنَ فإني أُريتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النارِ. فقُلْن : وبم يا رسولَ اللهِ ؟ قال : تُكثِرنَ اللَّعنَ ، وتَكفُرنَ العَشيرَ ، ما رأيتُ مِن ناقِصاتِ عَقلٍ ودينٍ أذهبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحازِمِ مِن إحداكُنَّ. قُلن : وما نُقصانُ دينِنا وعَقلِنا يا رسولَ اللهِ ؟ قال : أليس شَهادةُ المَرأةِ مثل نِصفِ شَهادَةِ الرَّجُلِ . قُلن : بلى ، قال : فذلك من نقصانِ عَقلِها ، أليس إذا حاضَتِ لم تُصلِّ ولم تَصُم. قُلن : بلى ، قال : فذلك مِن نُقصانِ دينها. " [صحيح البخاري] .

معنى النساء ناقصات عقل ودين

والحديث يشتمل على اتهامين يوجهان للنساء : أنهن أكثر أهل النار ، وأنهن ناقصات عقل ودين .

ونبدأ في ردِّ الاتهام الثاني لسهولة الردِّ عليه فالنبي ﷺ قد يبيَّن أن نقصان عقلها ليس معناه تخلفها الذهني كما يحلو لبعض الرجال وصف النساء إنما يقصد به أن " شَهادة المَرأةِ مثل نِصفِ شَهادَةِ الرَّجُلِ " .

أما نقصان دين المرأة فليس معناه قلَّة أيمانها وتقواها إنما " إذا حاضَتِ لم تُصلِّ ولم تَصُم " ولا تقضي الصلاة فهي تصلي نحو ٢٤ يوماً فقط في الشهر وتأخذ الأجر كاملاً كالرجل الذي يصلي الشهر كاملاً ، وتصوم نحو ٢٤ يوماً في رمضان ، وتقضي ما أفطرت في رمضان بعد رمضان وتأخذ أجر صوم رمضان كاملاً كالرجل الذي صام كل رمضان .

كيف يُستغَلُّ الحديث خطأ من الرجال والنساء ؟

والعجيب أن هذا الحديث يستغله بعض الرجال والنساء على السواء ، بعد اجتزائه فيكتفون بذكر " النساء ناقصات عقل ودين " يستغله بعض الرجال لإهانة النساء وقد أمروا بالإحسان إليهن " استوصوا بالنِّساءِ خيرًا " [صحيح مسلم] ، وتستغله بعض النساء في إساءة الظن بالله ودينه مع أن حسن الظن بالله تعالى شُعْبة من شعب الإيمان لا يكمل إلا بها، وواجب شرعي يجب عليهن أن يتصفن به فقد جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : قال اللهُ جَلَّ وعَلا : " أنا عندَ ظَنِّ عَبدي بي ، إنْ ظَنَّ خيرًا فَلهُ ، وإنْ ظَنَّ شَرًّا فَلهُ " [صححه الألباني] .

ومعنى حسن الظن بالله تعالى ، كما قال الإمام النووي : " أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه " ، وقال الحسن البصري : أن المؤمن أحْسَن الظن بربه فأحْسَن العمل، وأن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل. " .

وكيف يُسَاء الظن بالله ورسوله في فهم الحديث على أنه إهانة للمرأة وتهديد لها وقد قاله النبي ﷺ صبيحة يوم العيد للنساء ؟ كيف يقول النبي ﷺ رحمة الله للعالمين للنساء شيئاً صبيحة يوم العيد إلا أن يكون خيراً لهن ؟

الثابت والمتغير في الدين

رفعت سارة يدها تطلب الحديث فقال الأستاذ نبيل : انتظري يا سارة حتى ينتهي د. حسن من حديثه ثم نفتح باب الأسئلة .

- هذا السؤال خاص بكلام د. حسن .

قال د. حسن : بإذنك يا أستاذ نبيل .. تفضلي يا بنتي ماذا تريدين أن تقولي؟

– لن أخوض فى نقاشات فقهية فتلك الأحكام كانت عادلة ومناسبة فى زمن غير زماننا ولا حاجة لنا بها اليوم، فالمرأة فى مجتمع شبه الجزيرة لم تكن تدرس الطب والهندسة والزراعة وسائر العلوم الحديثة وبالتالى فالإسلام وضع أحكاماً تناسب وضع المجتمع والمرأة ، أما الآن فقد تجاوزها التطور الحضارى وبامكاننا استنباط أحكام أخرى تناسب زماننا ، إن المسيحيين الغربيين واليهود فى اسرائيل قد تجاوزوا أحكامهم الدينية ولم يعودوا يطبقونها، بل يطبقون القانون المدنى الذى يضمن المساواة بين الجميع أمام القانون بلا تفرقة على أساس الجنس، أو الدين ، وبالتالى فإن بناء الدول على أسس دينية سيجعل المجتمع طائفيّاً مُتَخَلِّفاً ، وإذا كان بعض رجال الدين يرون أن شريعة الإسلام تصلح لكلِّ زمان وأنا أرى أنها تصلح لزمانها وظروف المجتمع وقت نزولها، أما وقد تغيرت الظروف وتغيرت ثقافة البشر وأنظمة الحكم، فواجب علينا أن نجتهد ونضع قوانين وشرائع جديدة تناسب عصرنا .

– اعلمي يا بنتي أن دين الإسلام فيه ثوابت كما فيه مُتغيِّرات ، أما الثابت في الإسلام فهو مجموعة الأسس والحقائق التي لا بد من ثباتها، بما تشمله من أصول العقيدة ، وأركان الإيمان الستة، وأركان الإسلام الخمسة، وما يتعلق بالله سبحانه من توحيده وإثبات أسمائه وصفاته وأفعاله، وأصول العبادات والمعاملات، ومكارم الأخلاق، ومقاصد الشريعة ، التي تتمثل في حفظ الضرورات الخمس، وهي الدين والنفس، والعقل، والمال، والعرض.

أما أبرز المجالات المتغيرة في الأحكام الشرعية فتتمثل في الأحكام الفرعية المستمدة من نصوص ظنية الدلالة، مما يجعلها قابلة للاجتهاد، أو تلك النصوص التي تستمد من نصوص معللة بعلل خاصة، والتي تتغير بتغير الزمان أو المكان، أو الأحكام المبنية على قواعد العُرْف، والتي تتغير بتغير ذلك العُرْف، وكذلك الأمور التي تندرج تحت الكماليات والتحسينيات، وهي التي تختلف باختلاف الزمان والمكان، مما يتعلق بمسائل فرعية، وأشياء غير ضرورية، إنما يفعلها الناس من أجل تحسين حياتهم، ورفاهية عيشهم.

وكثير مما ترفضينه من سلوكيات بعض المسلمين أنا أرفضه مثلك ، كذلك أتفق معك في وجوب أخذ البلاد العربية في أسباب العلم والتقدم والتكنولوجيا والقيم الحضارية الثابتة ، ولكن الفرق بيننا يكمن في أنك لا تؤمنين بثوابت في الدين الإسلامي ، وأنا أؤمن بها .

قال الأستاذ نبيل : سارة مؤمنة بالله ولكنها تقرأ هذه الأسئلة في مواقع التواصل الاجتماعي وتريد أن تعرف إجابتها .

قال د. حسن : من حقِّ كل إنسان أن يسأل في أمور دينيه ما يشاء وجميع أحكام شريعة الإسلام مبنية على الإقناع العقلي وإقامة البرهان يقول تعالى ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:٢٤] .

قال الأستاذ نبيل : نعود إلى موضوعنا .

هل النساء أكثر أهل النار ؟

نأتي بعد ذلك إلى الاتهام الأول " فإني أُريتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النارِ" .

أولاً : الحديث يتكلم عن النساء عموماً وليس عن المسلمات تحديداً فقد جاء في رواية أخرى عند البخاري " أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ " وليس المقصود الصحابيات المخاطبن بالحديث لأن أصحاب النبي ﷺ : رجالاً ، ونساء الذين

ماتوا على الإيمان من أهل الجنة من حيث العموم ، كما قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة :١٠٠] .

ثانياً : أن نسبة النساء أكثر من الرجال بصفة عامة وخاصة آخر الزمان فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال" مِن أشراطِ الساعَةِ : أنْ يظهرَ الجهلُ، ويقلَّ العلمُ، ويظهرَ الزنا، وتُشرَبَ الخمرُ، ويقِلَّ الرجالُ، ويَكثُرَ النساءُ، حتى يكون لخمسينَ امرأةً قَيِّمُهُنَّ رجلٌ واحدٌ " [متفق عليه] .

ففي آخر الزمان تكثُر النساءُ بِسَبَبِ كَثرةِ الفُتوحِ والسَّبايَا، حتَّى لا تَجِدَ الخمسون مِن النِّساءِ سِوَى رَجُلٍ واحدٍ يَكفُلهنَّ ويَعُولُهنَّ ويقومُ بِشُؤونِهِنَّ.

ويوم القيامة لا تقوم إلا على شرار الخلق الذين سيكون أكثرهم النساء كما ذكر الحديث السابق " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ "

[صحيح مسلم]

ويقول النبي ﷺ كذلك " لا تقومُ السَّاعةُ على أحَدٍ يقولُ : لا إلهَ إلا اللهُ "

[صحيح ابن حبان]

قال عبدُ اللهِ بنُ عَمرو بنِ العاصِ " لا تقوم الساعةُ إلا على شِرارِ الخلقِ . هم شرٌّ من أهلِ الجاهليةِ . لا يدعون اللهَ بشيءٍ إلا ردَّه عليهم " [صحيح مسلم]

هذا الحديثُ فيه بَيانُ أنَّ السَّاعةَ إنَّما تَقومُ على شِرارِ خَلْقِ اللهِ، فلا تَقومُ على أَهلِ الإسلامِ، وإنَّما تَقومُ على أهلِ الكُفْرِ، ويَكونُ كُفْرُ هؤلاءِ شَرًّا من كُفرِ أهلِ الجاهليَّةِ .

ثالثاً : أن المؤمنين الصالحين نسبتهم قليلة ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] وأن أكثر الناس غير مؤمنين ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾

[يوسف:١٠٦] ﴿لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس:٧] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر:٥٩] .

والله تعالى أخبر أن جهنم تمتلئ بالناس والجنة أجمعين .

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٩] .

وبناء على ذلك فإن الكفَّار وعصاة الله ورسوله هم من يملئون جهنم ولما كان أكثر الناس من هؤلاء ، وأن نسبة النساء عامة أكثر من نسبة الرجال خاصة في آخر الزمان الذي يَكونُ كُفْرُ هؤلاءِ شَرًّا من كُفرِ أهلِ الجاهليَّةِ لذا صار أكثر أهل النار من النساء غير المؤمنات الصالحات .

من أكثر أهل الجنة ؟

قالت سارة : هذا عن أكثر أهل النار فماذا عن أكثر أهل الجنة أليسوا هم الرجال ؟

قال د. حسن وهو يبتسم : افتخرتِ الرِّجالُ والنّساءُ فقال أبو هريرة : " النِّساءُ أكثرُ منَ الرِّجالِ في الجنَّةِ فنظر عمرُ بنُ الخطَّابِ إلى القومِ فقال ألا تسمعونَ ما يقول أبو هريرةَ فقال أبو هريرةَ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول في أولِ زُمرةٍ تدخل الجنَّةَ وجوهُهم كالقمرِ ليلةَ البدرِ والثانيةُ كأضوءِ كوكبٍ في السَّماءِ ولكلِّ واحدٍ منهم زوجتان يُرى مُخُّ سوقِهما من وراءِ اللحمِ وليس في الجنةِ عَزَبٌ "

[صححه الألباني]

وفي صحيح مسلم " إما تَفاخروا وإما تذاكروا : الرجالُ في الجنةِ أكثرُ أم النساءُ ؟ فقال أبو هريرةَ : أو لم يقل أبو القاسمِ ﷺ " إنَّ أولَ زُمرةٍ تدخل الجنةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ . والتي تليها على أضوءِ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء . لكلِّ امرئٍ منهم زوجتَان اثنتان . يُرى مُخُّ سوقِهما من وراءِ اللَّحمِ . وما في الجنةِ أعزبُ" .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري عند شرح هذا الحديث ولكلِّ واحد منهم زوجتان أي من نساء الدنيا، قال : واستدلَّ أبو هريرة بهذا الحديث على أن النساء

في الجنة أكثر من الرجال كما أخرجه مسلم من طريق ابن سيرين عنه وهو واضح لكن يعارضه قوله ﷺ في حديث " رأيتكن أكثر أهل النار " ويجاب بأنه لا يلزم من أكثريتهن في النار نفي أكثريتهن في الجنة .

وقال الإمام النووي في شرح مسلم : قال القاضي: ظاهر هذا الحديث أن النساء أكثر أهل الجنة، وفي الحديث الآخر أنهن أكثر أهل النار. قال: فيخرج من مجموع هذا أن النساء أكثر ولد آدم. قال : وهذا كله في الآدميات، وإلا فقد جاء للواحد من أهل الجنة من الحور العدد الكثير .

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: " هَلْ تَزَوَّجْتَ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ : " فَتَزَوَّجْ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً " [صحيح البخاري] .

والنبي ﷺ من شدة حرصه على دخول المسلمات الجنة وألا يكن من الكافرات أو العاصيات اللاتي يدخلن النار فإنه يطلب منهن أن يكثرن من الصدقة ولا يكثرن من اللعن وهو الدعاء بالطرد من رحمة الله ولا يكفرن العشير وهو جحد إحسان الأزواج فيقول ﷺ " يا معشرَ النِّساءِ تصَدَّقْنَ فإني أُريتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النارِ. فقُلْن : وبم يا رسولَ اللهِ ؟ قال : تُكثِرنَ اللَّعنَ ، وتَكفُرنَ العَشيرَ" والصدقة الخالصة لوجه الله تسبب رضا الله عن العبد، وتمنع الموت في سبيل معصية الله فيقول ﷺ " إن الصدقَةَ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ " [صحيح ابن حبان] .

معنى كفران النساء العشير

قالت سارة : إذا كانت النساء المؤمنات أكثر أهل الجنة فكيف يصفهن النبي ﷺ بأنهن كافرات ؟!

– لم يصف النبي ﷺ المؤمنات الصالحات بالكفر أبداً ، لكن ربما تقصدين وصف النبي لهن بأنهن " يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ " .

– نعم .. نعم .

في حديث آخر يفسِّر النبي ﷺ للنساء المؤمنات الصالحات معنى يكفرن العشير حتى لا يقعن فيه .

فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ " أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ قِيلَ أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ " [صحيح البخاري] .

ولقد فهمت النساء المؤمنات أن هذا حثٌّ من النبي ﷺ لهن على الصدقة وشكر الإحسان فأسرعن بالتصدق ولم تفهم إحداهن أن هذا تفضيل الرجال عليهن ، ولم يُسِئْ الظن برسول الله ﷺ كما تفعلين أنت يا بنتي .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّلاةَ يَوْمَ الْعِيدِ فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلا إِقَامَةٍ ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى بِلالٍ فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَثَّ عَلَى طَاعَتِهِ وَوَعَظَ النَّاسَ وَذَكَّرَهُمْ ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ فَقَالَ تَصَدَّقْنَ فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ فَقَامَتْ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ فَقَالَتْ لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ قَالَ فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ يُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلالٍ مِنْ أَقْرِطَتِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ "

[صحيح مسلم]

فالنبي ﷺ وعظ الناس جميعاً في خطبة العيد ثم خصَّ النساء بوصية خاصة وقد استجبن على الفور لوصية الرسول ﷺ وعملن بها فجعلن يتصدقن بحليهن ، ولم يتهمهن النبي ﷺ كما فهمتِ با ابنتي بتفضيل الرجال على النساء أو قصد الإساءة إليهن .

الدين النصيحة

النصيحة من أهم أمور الدين، وأعظمه، وبها يُقوَّم اعوجاج الخَلْق، وتصلح حالهم؛ لأن المؤمن للمؤمن كالمرآة، يرى عيوبه، ويكشفها، فعليه أن ينصحه، ويبذل جهده في نصيحته وإن كانت ثقيلة على المنصوح أحيانًا. قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف:٧٩] وهي واجبة على كل مسلم لكل مسلم . قال النبي ﷺ : " الدِّينُ

النَّصِيحةُ " قلنا : لِمَنْ ؟ قَالَ : " لِلهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ " [صحيح مسلم] وأما النصيحة لرسوله ﷺ : فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به ... وأما النصيحة لأئمة المسلمين : فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه .. وأما نصيحة عامة المسلمين : فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم .. والنصيحة لازمة على قدر الطاقة .

وعن جرير بن عبد الله قَالَ : " بَايَعْتُ رسولَ الله ﷺ عَلَى إقَامِ الصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ " [مُتَّفَقٌ عَلَيهِ] .

عن أنس عن النَّبيّ ﷺ قَالَ : " لا يُؤمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحبُّ لِنَفْسِهِ" [مُتَّفَقٌ عَلَيهِ] .

قال الأستاذ نبيل : لقد مرَّ الوقت بنا سريعاً وكنَّا نودُّ لو طال بنا الوقت لنستفيد من علم د. حسن الغزير ، وإلى أن نلتقي به مرة أخرى نوتجَّه بالشكر الجزيل له متمنيين له دوام الصحة والعافية والتوفيق .

– بل أنا الذي أشكركم على حسن الضيافة ، وأغبطك يا أستاذ نبيل على طالباتك الذكيِّات المجادلات .

وقفت الطالبات وصفقن طويلاً .

***